

رودينسون ولا انا نتجاهل ذلك او نهمله . ورودينسون لم يشر الى دور المدارس الاربعة - المالكية والشافعية والحنبلية والحنفية . وانا اوافقه على ذلك . فانا ارى انه لم يصف شيء جوهرى السى الفكرولوجيا الاسلامية بعد ولادة القرآن والسنة .

ثم ينتهم الاستاذ النادى رودينسون بخروجه على منهج البحث الاجتماعى فهل هو على حق ؟ صحيح ان النصوص لا تفسر الواقع ، لكن عالم الاجتماع لا يستطيع ان يستعيد الماضي المندثر بكل حيويته ، فعالم الكيمياء يحضر المادة الى مختبره ويدرسها ، اما عالم الاجتماع فهو مضطر للرجوع الى مصادر كلامية - بحذر خاص فيما يخص مدى صحتها - ويحاول ان يستنبط الواقع من خلالها ، وكلما طال الرجوع الى ما كتب ، اتسع مجال الابتعاد عن الواقع . فعلم الاجتماع لا يستطيع ان يدرس علميا الا الموجود . والماضى قد اندثر . اما عن تحقيق العدالة في الاسلام ، فقد اشار رودينسون الى تطبيقها في فترة وجيزة - عهد الرسول والخليفتين الاولين . ونحن لا نرى ان الاستاذ رودينسون قد فسر في مجهوده او خرج عن منهج عالم الاجتماع .

نانيا - ماخذ على منهجي .

١ - ياخذ على الاستاذ النادى استعمال تعبيرات غامضة . قد يكون على حق اذ اعتبرنا ان استعمال تعبيرات ممضوغة امر ضروري في مجال العلم . لكن علم الاجتماع له لغته الخاصة . وانا اتساءل اين هو الغموض في الامثلة التي اعطاها - راجع كلمته ص ٧٥ ، الاداب عدد ١٠ - ١٩٦٦ - ب - ان آرائى واضحة ومتميزة عن آراء الاستاذ رودينسون ، ويكفي العودة الى اتصافى ، للامام بها . ونوضح ان كتاب رودينسون يحمل آراء وافكارا يعرفها كل الاخصائيين ، وآراؤه الشخصية قليلة بالنسبة الى ما اورد من آراء ، فالعمل العلمي يختلف عن القصيدة والقصة ، لانه غير شخصي .

ج - لا بد لاي كاتب ان يعرف بثقافة او بمواقف غير معروفة او يفترض انها كذلك . فابن هو الاستطراد ، حينما احاول ان ابين مكانة الاستاذ رودينسون كمثقف حقيقي بالنسبة الى المثقفين المزيفين . الم يمكن ان واجبي التعريف به وهو واضح كتاب مهم ، موضوع حديثنا ؟ وأي شيء يضمن لي ان القراء يعرفون رودينسون ، والقراء الفرنسيون لا يعرفونه جيدا ، كما هو حال كل العلماء الحقيقيين ؟

د - ينتهمني الاستاذ النادى بفسرط حماسي وانبهاري بالكتابات والكتائب . والاصح ان يقول احترامى وتقديرى العلمى لاول كتاب رزى ، لا اكثر ، واما عن خلو المقال من نقد ، فليس النقد عملا ايجابيا دائما ، خصوصا اذا لم يكن ثمة حاجة لذلك . وحينما نجد انفسنا امام عمل ناصح لا يثير فينا اي تساؤل فلماذا نهجم ؟ لقد وجهت بعض الانتقادات الطفيفة وهي متهمة اكثر منها مناقضة . وقد كتب الاستاذ ريجيس بلاشير مقالا في جريدة ليهوند ، عدد ٦٧٦٥ ص ١٠ ، عن هذا الكتاب ، بتاريخ ٢ اكتوبر ، ولم يقم سوى بشيء واحد هو عرض الكتاب كعمل علمى كبير ، وقال في خاتمته : « ولا نغالي اطلاقا اذا اكدنا ان هذا الكتاب عظيم . فان اختلاف المواضيع المدروسة وتعقيدها يحتم مطالعات واسعة ومقدرة نادرة على التحليل وجرأة فكرية ، يقدرها له كسل انسان . ان كثافة الصياغة لا توقف القارئ طالما انه يتابع سير الكاتب . ونعجب في كل اجزاء الكتاب بالعناية الاصيلية بالنصوص التي تدغم دراسات العقيدة . والكتاب الذي يقدمه لنا رودينسون ليس كتابا جريئا فقط ، وانما هو ايضا كتاب عالم قادر على ان يجعل الاخصائي يفكر ، وان يشرك الاذهان الباحثة في تجددات لا بد منها . »

هـ - مبرر استعمال لفظ فكرولوجيا بدلا من ان ايدولوجيا بسيط جدا لماذا لا نقول علم الافكار ، او ناخذ (لوجيا) اليونانية ونضيف اليها ما نشاء لنحفر مصطلحات تناسب لغتنا .

خليل احمد خليل

ليون

حول ((الاسلام والرأسمالية))

بقلم خليل أحمد خليل

انا ممن آمنوا بالحوار وضرورته ، بالكتابة والقراءة . وهذه الامور الثلاثة تفترض اختيارا واعيا وثقافة وتجربة معقدة وصعبة . وقد جاء تعليق الاستاذ محمد يحيى النادى كدعوة لطيفة الى تلبية الى احدى رغباتى الصديقة ، واشير اولا الى صعوبة الاشتراك في نقاش لا يتبادل فيه الطرفان ، ذاك ان الاستاذ النادى لم يطلع على كتاب البروفسور رودينسون ، وانايا يفقد النقاش المكتوب الكثير من حيويته وديناميكنه ، فلا يمكن ان يكون النقاش المكتوب ، كما اعتقد ، الا سلبيا من حيث النتائج ، باستثناء بعض الحالات . ولا شك ان الاشتراك في ندوة اكثر ايجابية ومقدرة على تغيير المواقف والمفاهيم وتطويرها . مع ذلك ، لا افقد ايماني بضرورة النقاش المكتوب وللستاذ النادى ماخذان رئيسيان :

١ - ماخذ على البروفسور رودينسون من خلال مقالى .

٢ - ماخذ على منهجي في هذا المقال .

ولنبدا بنقاش ماخذ الاستاذ النادى .

اولا - ماخذ على البروفسور رودينسون .

نحب ان نوضح للقراء وللستاذ النادى بان رودينسون يتكلم بصورة رئيسية عن القصيدة الاسلامية ، وهو لا يقول بان العناصر غير العربية لم تلعب دورا مهما في خلق الحضارة العربية الجديدة وفي تطويرها . وهذه النقطة لم تكن مجال بحثه . فالهم بنظره هو العقيدة الاسلامية والدور الذي لعبته في تطوير الاقتصاد العربى والاسلامى - اذا كان هناك اقتصاد ديني ، وهذا ما لا نقر به .

ولو قلنا بتصنيف الحضارة على اساس ديني ، لوجدنا ان الحضارة العربية الاسلامية لم تنتج عن نشاط طائفة معينة ، بل اشترك في تطويرها عناصر دينية متباينة المعتقدات والمسالك . ولو قلنا بتصنيفها على اساس قومي ، وهذا هو الاصح بنظرنا ، نجد ان الشعوب التي انضوت تحت تواء العروبة والاسلام قد شاركت فعلا في بناء الحضارة الجديدة وحملت تراثها القومي لتؤثر بواسطته على مقومات الحضارة العربية عامة - الاثر الفارسي مثلا . - وفي كلا الحالتين لا نلمس موضوع البروفسور رودينسون . فحينما يقول الاستاذ النادى ان الدين الاسلامى لا يخص العرب وحدهم فهو على حق ، ورودينسون او خليل احمد خليل لا يقولان عكس ذلك . وانما اشير الى وجود فرق حاسم بين القول بان الفكرولوجيا الاسلامية تخص العالم كله لانها انسانية ، وبين القول بان العرب قد خلقوا العقيدة الاسلامية وشاركوا في تطويرها اكثر من سواهم . وآثرت الكلام عن العرب ، لا حبا بقومي بل ليماني بانهم اغنوا التراث الاسلامى اكثر من سواهم . وهذا رأيى لا رأي البروفسور رودينسون .

ولو ظننا ان الفكرولوجيا الاسلامية تشمل كل الطوائف الاسلامية مهما تفاوتت آراؤها ، لقلنا ان كل من اعطى شيئا جديدا يعتبر خلاقا في هذا المجال . الا ان عالم الاجتماع يحتاج الى خلق نموذج يمثل فصلا العقيدة الرئيسية . وفي الاسلام نرى علميا ان السنة تمثل هذا النموذج . ولا ريب ان الجهود التي قامت بها المدارس الاربعة قد القت اضواء جديدة على تفسير العقيدة الاساسية اي القرآن والسنة . فلا الاستاذ

السبيل الوحيد لهذا اللقاء . . .

بقلم الدكتور صلاح خانص

في البلاد وطبيعة القوى التقدمية الموجودة فعلا ومواقفها وتاريخها ودورها في الحركة الثورية . . فالشرط الاساسي لنجاح اية مرحلة جديدة هو عدم تجاهلها للمراحل السابقة وانما اخذها بعين الاعتبار الى جانب الظروف الموضوعية التي تعيق بها ، والافادة من كل ذلك في تحديد الخطوات الجديدة التي تتخذها . .

ولكي يكون الحديث اكثر فائدة والحوار اكثر جدوى فلا بد ان يناقش الموضوع في كل بلد عربي وتوضح سماته الاصيلية وتدرس الحلول المطروحة لمعالجته بكل صراحة واطلاص . . وبهذه الروح ساحاول عرض الموضوع في العراق والحديث عن الطريق الذي لا بد لثورة الرابع عشر من تموز ان تسلكها لكي تعود جذوتها الى الاضطرار بعد ان كادت تطفئها العواصف .

لقد نضجت هذه الثورة المجيدة عبر نضال شاق عنيد خاصته جماهير الشعب العراقي ضد الاستعمار والرجعية وانحكم الملكي منذ ثورة عام ١٩٢٠ حتى ثورة تموز عام ١٩٥٨ . ولم يكن هذا النضال في اكثره ولا سيما في مراحلها الاخيرة عفويا ، وانما كان بقيادة منظمات واحزاب سياسية تدعى قسم منها وتتخاذل في اتون المعارك البصارية ، ولكن قسما اخر منها صمد واستبسل وحمل راية الكفاح التي رفعها ثوار الرابع عشر من تموز حتى النصر . وتشهد على ذلك سجون العراق ومعتقلاته التي لم نخل طيلة الحكم الملكي الفيض من الاف الوطنيين ، والمشاق التي صعد عليها الاحرار العراقيون وهم يهتفون بحياة الشعب ويعربون عن ثقتهم بانتصاره ، الى جانب الضحايا الكثيرة التي سقطت في المظاهرات والانتفاضات والسجون ، في شمال العراق وفي جنوبه ، فقد سجلت هذه الاحداث كلها بعمق في ذاكرة الشعب العراقي الذي تعود ان لا ينسى ابدا ضحاياه .

وقد ادركت الاحزاب والقوى الوطنية آخيرا بعد التجارب المريرة التي مرت بالشعب العراقي وبعد ان خاضت جماهير الشعب جنبا الى جنب ، على اختلاف اتجاهاتها السياسية ، معارك مشتركة ادركت هذه الاحزاب والقوى ان لا طريق الى النصر سوى طريق الائتلاف والاتفاق ، سوى طريق الجبهة الوطنية . . وهكذا انبثقت في اوائل عام ١٩٥٧ جبهة الاتحاد الوطني جامعة تحسست لوائها القوميون والديمقراطيون والشيوعيين من عرب واكراد ، وتعلقت بها آمال الشعب كله . فاول مرة في تاريخ العراق الحديث تجتمع القوى الوطنية كلها واضعة امامها اهدافا مشتركة تضمونها بيان الجبهة الاول ، مصممة على العمل يدا واحدة للاطاحة بالحكم الرجعي العميل . لقد كان الدرس بليغا وكانت نتيجته رائعة . . فقد بدت في الافق رغم الكابوس الذي كان يحتم على صدر العراق ، بتأشير الفجر المنتظر . . وفي اقل من ثلاث ساعات من يوم الرابع عشر من تموز انهار الحكم الملكي الرجعي وتداعت اركانه دون ان يستطيع ابداء اية مقاومة تحت قبضة الشعب الموحدة وجيشه الباسل . وما كان لهذه النتيجة الرائعة ان تتحقق لولا ائتلاف القلوب وتعاقد الخناصر ، لولا رص الصفوف وتوحيد الاهداف والعمل المشترك تحت لواء جبهة الاتحاد الوطني . وليس ادل على دور الجبهة في قيام ثورة الرابع عشر من تموز من ان حكومة الثورة الاولى كانت تمثل جميع اطراف الجبهة تقريبا . .

ولكن ما اسرع ما نسيت دروس التاريخ القريب . . وما اسرع ما تنكر المسؤولون من رسميين وغير رسميين لجبهة الاتحاد الوطني واداروا ظهورهم نحوها ، فتفككت عراها وتشتتت صفوفها المتراسة وارتخت قبضتها الموحدة وتداعى صرحها الشامخ ، وابتدأت الاضواء الوهاجة التي كانت تثير طريق المستقبل تخفت وتضائل ، وبدأ الضباب يغمر الامل المشرق التي كانت واضحة في الافق . . وساعد على كل ذلك عملاء الاستعمار وايتام العهد الرجعي المباد الذين بدأوا يندسون بين الصفوف وفيها ليزيدوها تفككا وبعدا عن بعضها البعض . . كما ساعد على ذلك الحكم الفردي الذي توهب ان لا يبقاء له دون تفريق الصفوف . ثم تلاقت الاحداث الدامية في العراق العزيز ، وتكر رفاق النضال المشترك بالامس لبعضهم البعض وتراشقوا بالسهام ، وعملاء

اعتقد ان المقال الذي نشره الدكتور سهيل ادريس فسي العدد الثامن من مجلة الادب لهذا العام يطرح مجموعة من القضايا الهامة جدية بان تكون موضع مناقشة صريحة مخلصه من قبل المثقفين العرب . . ولكن رغم خطورة هذه القضايا فان تحقيق ما دعا اليه الدكتور سهيل وهو « لقاء الثورات » يتطلب معالجة جملة من المشاكل الهامة لا سبيل الى هذا « اللقاء » دون حلها . والوصول الى حل سياسي للمشاكل القائمة يتطلب تهيئة فكرية واعدادا نفسيا يجب ان يساهم في ايجادها قبل غيرهم الكتاب والمفكرون بمناقشة موضوعية بناءة تهدف الى توحيد صفوف الحركة التقدمية لا اتي تحطيمها وتفتيتها . وتبدو ضرورة هذه المناقشة في الوقت الحاضر نتيجة لاحتدام صرّام المعركة ضد الاستعمار والرجعية ووجود ضرورة ملحة لتهيئة جميع القوى وتهيئة كل الامكانيات للانتصار في هذه المعركة . ولا حاجة للقول بان مثل هذا الحوار يجب ان ينسم بمنتهاى الصراحة والموضوعية ليؤتي ثماره ويحقق وحدة فكرية واتفاقا مبدئيا حول المشاكل التي تقف في طريق « لقاء الثورات » .

ومن الطبيعي ان من السذاجة الطموح الى اتفاق تام حول جميع الجوانب النظرية والتطبيقية للمشاكل القائمة ، ولكن الامر الذي لا شك فيه ان الظروف التي مرت بالبلاد العربية والتجارب التي خاضتها حركة التحرر العربي قد قربت كثيرا من وجهات النظر وكشفت كثيرا من الاخطاء واوضحت الاهداف الابنية التي تقتضيها الرحلة التي يمر بها المجتمع العربي اليوم . . مرحلة الكفاح ضد الامبريالية والرجعية ووضع الاسس المتينة للسير في طريق الاشتراكية وهي الحل الوحيد لازمة التخلف والظلم الاجتماعي اللذين تعاني منهما الشعوب العربية في الوقت الحاضر . ولعل هذا هو المنطلق الحقيقي للقاء الثورات الذي تحدث عنه الدكتور سهيل . . انه يعني امكانية بسل وضرورة تكاتف الحركات الثورية في الوطن العربي وتعاونها الوثيق لتحقيق هدفها المشترك وهو سحق الرجعية واقامة اسس المجتمع الاشتراكي المنشود . تحدث الدكتور سهيل ادريس عن « لقاء الثورات » ، وهو لا شك يعني لقاء الحركات الثورية في العالم العربي عموما ، تلك التي نجحت منها على وجه الخصوص ، كثورة ٢٣ يوليو وثورة ١٤ تموز والثورتين الجزائرية واليمنية .

الا ان طريق لقاء هذه الثورات يجب ان يمر حتما بمرحلة تسبقه - ان اريد له النجاح - وهي مرحلة رص صفوف كل من هذه الثورات وتفتيتها واستيعابها تقواها الحقيقية وحشدتها لجميع القوى التقدمية في البلاد ودخولها مشتركة المعركة ضد العدو المشترك . وتحقيق هذه المرحلة الخطيرة يقع طبعا وقبل كل شيء على عاتق القوى التقدمية في داخل كل قطر من الاقطار العربية سواء منها المتحررة ام غير المتحررة ، وذلك بالاسلوب والشكل الذي ينسجم وظروفها الموضوعية ، ولكن ذلك لا يقلل من مسؤولية القوى التقدمية في البلاد العربية الاخرى في دعم هذه الجهود واسنادها لا سيما وان المعركة واحدة والعدو مشترك ، وان تحقيق وحدة القوى التقدمية في البلاد العربية رهن بتحقيق وحدة هذه القوى في كل من البلدان العربية . . فالامر اذن يهم الجميع ، ومن واجب جميع التقدميين العرب في كافة انحاء الوطن العربي ان يهيئوا له ويسمعوا من اجل تحقيقه .

على ان ذلك لا يعني بأي حال من الاحوال فرضي شكل واحد من وحدة القوى التقدمية الثورية على جميع البلدان العربية ، مهما كان هذا الحل مرغوبا فيه من الناحية النظرية . . اذ ان أي حل لا يمكن ان يكون واقعا وناجحا ما لم يأخذ بنظر الاعتبار الظروف الموضوعية القائمة

الى الامام . وسيلتحق بالركب من يلحق ويتخلف عنه من يتخلف ، ولكنه سيصل دون شك الى هدفه ويحقق غرضه . أن مجرد الاعلاء بتمثيل الجماهير والنحدث اغنيابا باسمها ، أو حتى الاستيلاء على الحكم بالقوة لن يكفي وحده لاجاد اية فاعدة شرعية للحكم ، ولن يكون الا غفلة وتجاهلا لتوضع الحقيقي في العراق ، ولن يهيبء الجسو الا للرجعية والاستعمار لكي تعود بشكل أو بآخر للقبيص على خناق العراق وابعاده عن الركب العربي المتحرر . والى ان يتهيباً للشعب العراقي ان يعرب عن رأيه ويقرر مصيره بنفسه ويضع ثقته في هذا الجانب أو ذاك بحرية نامة ، فان السبيل الوحيد نحو وحدة وطنية رصينة هو سبيل التآلف والاتفاق في جبهة وطنية متينة للقوى التقدمية ، عربا واكرادا ، نأخذ على عاتقها ضرب الرجعية والاستعمار وتهيئة الظروف الملائمة للشعب العراقي لكي يقرر مصيره بنفسه .

ان لقاء الثورات الذي دعا اليه أندكتور سهيل ادريس لا يمكن ان يكون حقيقة واقعة الا اذا سارت كل ثورة في طريقها وحقت اهدافها . ولن نستطيع اية ثورة ذلك الا بتجميع قواها ورص صفوف انصارها . فمن هنا يجب ان تبدأ . . ومن اجل هذا الهدف يجب أن يسعى المثقفون العرب . .

صلاح خالص

حول ((الجزائر والقومية العربية))

بقلم الدكتور ابو القاسم سعد الله

ثلاث اتهامات وجهها الي الاستاذ عبد الجليل حسن في تعليقه على مقالي « الجزائر والقومية العربية » (١) . (أ) أنني ذكرت « كثيرا من القضايا غير الصحيحة » مثل زعمي بأن الجزائر كانت اول جزء من الوطن العربي يتعرض للخطر الاجنبي واهمالي للحملة الفرنسية على مصر والشام . (ب) أنني كنت « كمن يصبو السهام في الهواء » لأنني لم اذكر اسماء المؤرخين الذين اهتموا دور الجزائر فسّي بناء القومية العربية . (ج) ان ربطتي حركة القومية العربية بالجزائر فيه « نزعة

صدر حديثا :

الذين لا يكونون

قصص

بقلم :

عائده مطر جي ادريس

منشورات دار الاداب

٢٠٠ ق.ل

الرجعية والاستعمار بينهم يزيدون اثار ضراما والاحقاد جذوة . . . واختلط الحق بالباطل ، وامتزج الصدق بالكذب ، وتداخلت صيحات الاخلاص بصراخ المهرجين والدعاة ، وسالت اندماء غزيرة على ارضه الطيبة . . لا دماء اعدائه من مستعمرين ورجعيين وانما دماء ابنائه المخلصين في الشمال والجنوب . ولم يستفد من ذلك كله سوى الاستعمار والرجعية اللذين وفقا لعراق تموز بالمرداد يتربصان بسه الدوائر ويتحينان الفرص للاجهاز عليه بعد أن نشخه الجراح ويؤدي به الاعياء . فمن المسؤول عن كل ذلك ؟ - سؤال يكتر ترداده على الافواه وتباين الاجابات عليه . . وفي خضم زأخر من انشائهم والتهم والتعصب الاعمى غرفت اتحفيقة تحت لبح الدعاية المصللة السوداء . . فلتترك للتاريخ اذن الاجابة عن هذا السؤال ، ولتحاول كل قوة سياسية تشعر بالمسؤولية ان تدرس مواقفها وتتعرف على اخطائها ، وتسلك الطريق الذي يجنبها هذه الاخطاء ويقودها الى تحقيق اهداف الحركة التقدمية الثورية ، ولتستخلص من كل ذلك درسا للمستقبل . . درسا نحن في أشد الحاجة اليه . . درسا يضمن لنا حسن العاقبة ويجنبنا سوء المصير .

وهذا الدرس - كما اعتقد - اصبح واضحا مفهوما يفرض نفسه فرضا على الاسماع والابصار . ففي العراق - كما في غيره من بلاد العرب - معسكران : معسكر الاستعمار والرجعية ، ومعسكر الشعب ، لا سبيل لتعايشهما معا بأي حال من الاحوال ، كما أكد ذلك الدكتور سهيل ادريس - فالاول معسكر البغي والفساد والاستغلال والعبودية والفقر والتخلف . . والثاني معسكر الخير والعدالة الاجتماعية والحرية والتقدم . . واذا اريد ثنورة تموز أن تنتصر للعراق ان يسير في الركب العربي المتحرر فلا بد من انتصار معسكر الشعب ، لا بد من القضاء على الاستعمار والرجعية في العراق . . ولن يمكن تحقيق ذلك الا بطريق واحد لا بديل له . . هو وحدة قوى الخير ، وحدة قوى التقدم ، وحدة القوى الوطنية المعادية للاستعمار والرجعية ، والوقوف بعزم تجاه الاستعمار والرجعية واعوانهما وعدم السماح لهم بالتسلل الى المراكز الحساسة في حياة الشعب والسيطرة على مقدراته .

ان الاصوات التي تتعالى في داخل العراق وخارجه عن تحقيق ذلك ابتداء من الصفر ويجاد تنظيم جديد يتجاهل كل ما هو قائم فعلا ، انما تعكس - مهما كانت مخلصه - جهلا بالوضع في العراق وعدم ادراك لسير العملية التاريخية فيه ، بل وانكارا لثورة الرابع عشر من تموز نفسها . ان اي عهد أو حقبة تاريخية لا يمكن ان يبدأ من الصفر . . فلكي نقيم طباقا جديدا في بناء قائم لا بد من النظر الى اسسه وطوابقه السابقة واقامته عليها . . والمعركة ضد الاستعمار والرجعية لم تبدأ اليوم ، بل بدأت منذ ان حشر الاستعمار انفه في شؤون العراق . . وقد مرت هذه المعركة بمراحل متعددة سجلت فيها صفحات مشرقة ، وساهمت فيها قوى عنيدة صمدت واستتبست فعمقت بذلك جذورها بين جماهير الشعب ، وكانت نتيجة كل ذلك قيام ثورة الرابع عشر من تموز . . صحيح ان هناك قوى جديدة تنمو باستمرار ، الا ان القوة السياسية الشعبية لا تخلق ببيان أو باجازة رسمية ، وانما تتطور وتنمو عبر الكفاح المرير والتجارب الغزيرة والمحن الشداد خلال سنين طويلة من العمل الرهق الشاق في سبيل الشعب ، وهذا الكفاح الشاق الطويل هو الذي يعطيها خصائصها وصفاتها الوطنية ، لا شعاراتها وادعائها وبياناتها . ان التصور بان من الممكن محو ماضي الحركة الوطنية في العراق وتجاهله بيسر وهم لا يجلب الا الخيبة والفشل ، ولن يؤدي الا الى تقديرات خاطئة تعود بافدح الاضرار على البلاد . . يجب ان نبدأ من حيث وقفنا ، فقد حقت ثورة الرابع عشر من تموز انتصارها الرائع بفضل تكاتف القوى الوطنية في جبهتها الموحدة . . وقد تعثرت هذه الثورة وكبت حين تفككت الجبهة الوطنية وتكر اطرافها لبعضهم البعض - لذلك فليس هناك من سبيل للاستمرار في طريق الثورة سوى اعادة رص الصفوف وتوحيد جميع القوى الوطنية دون استثناء وفي مقدمتها تلك التي اسهمت في خلق ثورة الرابع عشر من تموز ، والسير

اقليمية» . واذا اشكر الاستاذ حسن على تعليقه ، احب ان ابدي عليه بعض الملاحظات .

(أ) لقد كنت واعيا لقضية الحملة الفرنسية على مصر والشام حين اكدت بان الجزائر كانت اول جزء من الوطن العربي يتعرض للخطر الاجنبي ، غير اني لم اكن اتحدث عن الاحداث التاريخية في حد ذاتها ولكن عن رد الفعل القومي وعلاقته بالحدث التاريخي . ومن هنا كتبت في الفقرة الثانية من المقال ما يلي « ان قومية اية امة هي اساسا رد فعل ضد خطر اجنبي » وذلك قبل ان اكتب الجملة التي نقلها الاستاذ حسن وهي « ان الجزائر كانت اول جزء من الوطن العربي يتعرض لمثل هذا الخطر الاجنبي » . ولا ادري لماذا اهمل الاستاذ الملقب بالجملة الاولى واكتفي بايراد الثانية رغم وضوح التسلسل المنطقي بينهما .

وما دامت القضية هي قبل وبعد كل شيء قضية محتوى قومي للحدث التاريخي فلا نستطيع ان ننزع الحملة الفرنسية على مصر والشام والاحتلال الفرنسي للجزائر في درجة واحدة ، وذلك للاعتبارات الآتية : (1) ان الاول (الحملة) كانت خطرا مؤقتا غير مباشر سرعان ما زال بينما كان الثاني (الاحتلال) خطرا دائما ومباشرا . (2) ان فشل الحملة قد ادى بالفروزة الى فشل اهدافها ، وبالتالي ضالة مفعولها على الكيان القومي . اما نجاح الاحتلال فقد ادى حتما الى تحقيق اهدافه وهي خلع سيادة ، وانتهاك حضارة (لغة ، دين ، تقاليد) ، وتشريد شعب ، واغتصاب ارض ، وبالتالي ادى الى رد فعل قومي . (3) ان الحملة كانت في الحقيقة (على الاقل بناء على المصادر الموجودة) موجهة نحو مصر والشام لا باعتبارهما كيانا مستقلا قوميا ، ولكن باعتبارهما مسرحا للسياسة اتدولية المتنازعة في ذلك الوقت . فالخصومة كانت اساسا بين الفرنسيين من ناحية وبين الانكليز والعثمانيين من ناحية اخرى ولست بين الفرنسيين والعرب هكذا . (4) ان مقاومة الشعب العربي في مصر والشام للحملة كانت جزءا من الاستراتيجية التي وضعتها الانكليز وحلفاؤهم العثمانيون للقضاء على عدوهم ، ولم تكن « رد فعل قومي ضد خطر اجنبي » كما كان الحال بالنسبة للجزائر . ولو كان عرب مصر والشام يقاومون الحملة في ذلك الوقت باعتبارها خطرا اجنبيا لشمكت مقاومتهم الانكليز والعثمانيين ايضا إذ ان كلهم كانوا « اجانب » حسب المفهوم القومي . (5) من الممكن القول بان موقف عرب مصر والشام اذ ذاك كان يشبه موقف العرب الذين حاربوا مع او ضد احد المعسكرين المتنازعين خلال الحربين العالميتين دون ان تكون لهم مصلحة مباشرة في الحرب نفسها . اما مقاومة الشعب العربي في الجزائر للاحتلال الفرنسي فقد كانت صراعا بين قوتين متناقضتين في كل شيء دون تدخل او وجود اية قوة ثالثة في الموضوع . ومعنى ذلك ان المقاومة هنا كانت دفاعا ذاتيا وتلقائيا عن الكيان القومي الذي كان حقا مهددا بالخطر . ولذلك قلنا ان رد الفعل الذي قام به عرب الجزائر عندئذ كان الاول من نوعه وانه كان يمثل نقطة الانطلاق القومي في تاريخ العرب الحديث .

(ب) ليس عندي ما اضيفه بخصوص هذه النقطة . فما ازال اعتقد ، الى ان تظهر حجة جديدة ، بان « كل » مؤرخي القومية العربية ، من عرب واجانب ، قد اهملوا دور الجزائر في تشييد القومية العربية في الفترة التي تناولتها ، وذلك لاعتبارات تاريخية وسياسية ليس هنا محل سردها . وقد كنت اود ان لو ارشديني الاستاذ حسن الى مؤرخ واحد يخالفني في رايي ، بدل ان يسألني ان اذكر له هؤلاء المؤرخين . واحب ان اؤكد له بانني مستعد ان اراجع عن نظريتي اذا ظهر ما ينقضها تاريخيا وعلميا .

غير ان هناك توضيحا لا بد من ايراده بخصوص هذه النقطة . ان حديثي كان عن « دور » الجزائر في حركة القومية العربية وليس عن « كفاحها » كما فهم الاستاذ المعلق . ولا شك ان هناك فرقا بين التناولين . فقد عبت على مؤرخي القومية العربية اهمال الدور القومي الذي قام به عرب الجزائر . اما موقفهم من كفاح الجزائر السياسي والعسكري فلم يتعرض له لعلمي ان المستعمرين انفسهم قد تناولوه

باطناب . واذن فقد كنت اتحدث عن قضية واحدة هي قضية التاريخ للقومية العربية وعلاقة الجزائر بها ، وعن فترة معينة وهي من الاحتلال (1830) الى نفي الامير عبد القادر (1847) (2) .

(ج) اما بخصوص اتهامي بالنزعة الاقليمية فلا اريد ان اخوض فيه باكثر من هاتين الملاحظتين : (1) في اول المقال « الجزائر والقومية العربية » يجد القارئ السببين اللذين دفعاني لكتابته ، احدهما « النزعة الغربية التي تروج الان في الجزائر لاقلمة الثورة » . ومن الغريب ان الاستاذ المعلق قد تناقض عن هذا رغم انه من الواضح ان المقال في حد ذاته كان هجوما على الاقليمية التي ما تزال تعيش في عقول بعض الجزائريين . (2) حين القيت موضوع المقال كمحاضرة في جامعة الجزائر خرج الاقليميون ينعنونني « بالقومية » و « الشرقية » و « البعثية » وغير ذلك من العبارات التي لها مدلولاتها الخاصة عند هؤلاء ، وكلها تعني انني لم اكن ، على الاقل في نظرهم ، اقليميا .

فاذا كانت محاولة تصحيح خطأ تاريخي تعني في نفس الوقت « الاقليمية » عند البعض و « القومية » عند الاخرين ، فيا ضيعة الحقيقة ! ويا ويح اهلها !

ابو القاسم سعد الله

(1) انظر المقال في « الاداب » (تموز ، 1966) ، والتعليق في نفس المصدر (اب ، 1966) .

(2) وقع خطأ مطبعي في بعض التواريخ التي اشتمل عليها مقال « الجزائر والقومية العربية » . واذا كان تاريخ احتلال الجزائر لا يفيب عن القارئ فاني احب ان اشير الى ان حمدان خوجة قد قدم مذكراته سنة 1833 وليس 1844 .

((منشود))

★★★

ضحكت له الدنيا في حدائته ، ثم ذاق طعم الالم حين فقد والديه . اقام فترة في بيروت ، فاختلف بالحياة الاجتماعية ، وعرف من الاعيבה واطوارها ما ترك في نفسه اعماق الانس : احب ، وخاب ، وتعذب ، وصبر ، ومرت به حوادث غنية بالعبر ، فعاد الى بلاد جبيل ، مسقط رأسه ، وفي نفسه خضم من الهموم . غير ان القدر كان له بالرصاد ، يعد لقلبه المتالم وفكره المشرد مآسي جديدة . فهل اعتبر الالم افضل مدرسة في الحياة ؟ وهل تعلم من الكوارث كيف يجالذ صروف الحدثان ؟

هذا ما يجدر بك ان تعرفه في قصة منشود لنسيب عازار ، وهي مستمدة من صميم الحياة اللبنانية ، وقد اجاد اؤلؤف في سرد الحوادث ، وتصوير الاخلاق ، وابرار خصائص الاشخاص ، بأسلوب سهل المأخذ ، مشرق البيان ، فاطلب هذه الرواية من دار المكتشف بيروت ، ص.ب. : 081